

في وسائل التواصل الاجتماعي

بقلم المترولوجيت سابا (اسبر)

زار الأب المتوحّد اسحق عطالله، تلميذ القديس باييسوس الأنثوسي، أبرشيّة اللاذقية، في ثمانينيات القرن الماضي، وكنت مرافقاً له طوال أيام الزيارة. كان جهاز الفيديو قد نزل الأسواق حديثاً؛ فأينما ذهب الأب اسحق أو اجتمع كان يسمع سؤالاً أولاً بخصوص جهاز الفيديو، ما مضار ومنافع استخدامه؟ وهل وجوده في البيت بركة أم لعنة؟

اعتاد الأب اسحق أن يجيب سائله هكذا: "أما لهذا الجهاز من مفتاح تشغيل وإيقاف؟ المشكلة يا أحبّاء ليست فيه. عندما ترون أنّه سيؤذي تديرون مفتاح تشغيله وتقلّونه."

أنطلق من هذه الخبرة إلى الحديث على وسائل التواصل الاجتماعي المتوفرة، في أيدي الجميع حالياً. كيف يتم التعامل معها؟ وكيف يتفاعل المؤمنون وما يشاهدونه أو يقرأونه فيها؟ وهل يعون وجوب تقييد استعمالها جزئياً على الأقل، لئلا تستعبدهم، وتالياً تشتت أذهانهم في أمور لا تقيد ولا تبني؟ هل يعون أنّ هدر الوقت في متابعة هذه التطبيقات قد يتحول إلى خطيئة، ويقود إلى الاكتئاب، إذ يعزّز الوحدة والعزلة ويزيد حياتهم صعوبة؟!

أليس هذا ما يحدث مع هذه الوسائل، وبشكل أوسع وأعمق وأخطر من الفيديو. فقد تعدّدت هذه الوسائل ولا تزال تطبيقاتها التي تحمل ميزات أكثر جدّة وحدّاتة تتوالى، وستبقى تتطوّر. هل نعي أنّ عدم اتّباعنا آداباً وأصولاً وفضائل في حياتنا بعامة، جعلها تكشف عيوبنا على الملء، وتزيد من خطايانا، وتغجّر ردود أفعالنا وغضبنا، أينما كان وعلى أيّ كان؟ أمّا باتت الانفعالات سيّدة الموقف وردّات الفعل تظهر في التعليقات الهوجاء سريعاً ودونما دقّة في المعلومات المتلقّاة؟

أمّا الأخطر فهو إيقاع الضرر بالآخرين بمعرفة أو بجهل. فالخطر الكامن في الكلام ضدّ الآخرين بالسوء، أو فضح أسرارهم على وسائل التواصل، قائم في عدم قدرتنا على إصلاح الضرر إذا ما وعينا خطيئتنا لاحقاً. فعندما أستغيب أو أنمّ على أحد أمام آخر، أستطيع الاعتذار وإصلاح

الموقف عندما أعي السوء الذي فعلته. أمّا على وسائل التواصل فالكثير ممّ قرأوا ما كتبت لن يعلموا بتوبتي، وسيبقى الأذى واقعاً بالآخر. دينونتي آنذاك ستكون عظيمة.

يُروى في أدبياتنا الروحية التربوية أنّ القديس مكاريوس طلب أن يرى الجحيم، فتحقّق طلبه يوماً في رؤيا. وممّا شاهده هناك أناساً معلّقين من أسننتهم على رماح والنار تشتعل تحتهم! وعندما سأل مستفسراً عن خطيئتهم، أتاه الجواب أنّهم الذين كانوا يفشون الأسرار ويتناقلون الشائعات من بيتٍ إلى بيت.

إذا طبّقنا هذه القصة على واقعنا المعاصر، فماذا ستكون دينونة الذين يشتمون على الآخرين ويكشفون أسرارهم أمام ملايين القراء على الشبكة العنكبوتية؟

ثمّة أخلاق وآداب على المسيحي أن يتحلّى بها. فمسيحيّتنا ليست نمطَ عيش اجتماعي الشكل فقط، بل نمطٌ تنعكس فيه أخلاقنا وفضائلنا. فأنّ تُظهر خارجياً ما أنت عليه في داخلك. إنّ ضبط النفس وعدم التسرّع في الحكم على الآخرين وتصديق ما نسمع ونقله أقلّ ما يمكن أن نُلزم أنفسنا فيه.

كان القديس سلوان الأثوسي يعتبر أنّ قراءة الصحف تعتمّ الروح، وتشكّل عقبةً بإزاء "الصلاة النقيّة". فماذا نقول اليوم في الأخبار المنهمرة علينا انهمار المطر في عزّ الشتاء؟ دار هذا الحديث حول الجرائد التي كانت الوسيلة الوحيدة لمعرفة الأخبار وما يجري، في بدايات القرن العشرين. ومعروف أنّ الجريدة صمّاء تكتفي بنقل الخبر، ولا تفاعل معها. فماذا كان القديس ليقول اليوم عن وسائل التواصل الاجتماعي، وهي ليست مجرد ناقل للأخبار، بل تتيح المجال بكل سهولة لكل قارئ لأن يكون، محرراً ومعبراً عن رأيه؟

ألا نعي كم نستهلك من الوقت في قراءة ومناقشة أمور سخيفة، والكثير منها غير حقيقي، ولا تفيدنا في شيء؟ ألا ننتبه إلى ما كُنّا نقدر على القيام به خلال ذلك الوقت الذي ضاع منّا في التصفّح؟ عدا عن تشويش ذهننا وجلب الاضطراب إلى نفوسنا بأيدينا! هل نعي كيف ننجرّ

بسهولة وراء أيّ إشاعة أو مغالطة، وأننا لا نُعملِ عقولنا ولا ندقق في ما نقرأ ونسمع على هذه الصفحات؟

لن أعطي دروساً في الآداب والأخلاقيات؛ فمن لم يتأدب بالإنجيل، لن تنفعه الآداب. لكن ثمة نصائح لا بدّ منها، لمن يريد أن يسمع.

قف أمام الأيقونات وارسم إشارة الصليب وصلِّ قبل أن تفتح جهازك الإلكتروني، واطلب من الروح القدس أن يلهمك كي تستعمله في الصالح والنافع للآخرين، ومن ثم ابدأ بالتصفح. من المفيد أن تكون مسبحتك في يدك كي تذكرك بأنّ الله حاضر.

لا تقرأ ما لا يفيدك ممّا يُنشر على هذه الوسائل. لا تهدر وقتك الثمين في متابعة ما لا ينفَعك، وكن يقظاً لنلا تنفعل وتُلحق الأذى بالآخرين. حدّد وقتاً معيّناً لتصفّحها، وحاول بكلّ جهدك أن تتصفّح الأشياء المفيدة والضرورية واللازمة لك. من المفيد أن تحدّد منبه الساعة على الوقت الذي ستخصّصه لها، ولا تترك نفسك مع الجهاز دونما مذكّرٍ، لنلا يستهلك وقتك كلّهُ. فكّر قبل أن تكتب، واتلو بمسبحتك عدداً من صلاة يسوع.

حاول أن تستفيد من مواهبك وقدراتك وتصرف وقتك في تنميتها وتقديم الخدمة للآخرين بواسطتها. ستختبر آنذاك كمّ الفرح الذي ستعيشه.

في خلوةٍ روحية طلبت من السيّدات المشتركات أن يخترن ساعةً محدّدة يومياً، يقفلن فيها هواتفهن النقالية، ويعشنها وكأنهن لا يملكن هاتفاً. استصعبن الأمر في البداية، لكنهن نفذن النصيحة فاندھشن من السلام الذي حصلن عليه، وبعضهن نسين الهاتف طوال اليوم.

جرب هذه الخبرة. خصّص ساعةً في اليوم تعيش فيها وكأنك لا تملك وسيلة تواصلٍ إلكترونية، لتتعم ببعض السلام والهدوء الداخليين. لعلك تكون رسولاً للآخرين وتقدّم لهم من اختبارك ما يريحهم ويفيدهم. آنذاك تكون رسول سلام وفرح يليق بك لقب "مسيحي".